نفير الضباب

تأليف : راي براد بوري
ترجمة : رؤوف وصفي
مراجعة : د. طه محمود طه

العنوان الاصلي للمسرحية

The Foghorn

شخصيات المسرحية

ماك دن	Mcdunn
جونـــي	Johnny

* * *

نفير الضباب

(ترفـــع الســتار)

(برج منارة . نرى ماك دن . وهو رجل في أواخر منتصف العمر ، منحنياً وهو يقوم بتزييت إحدى الآلات في الاصيل الموشك على الظلمة) .

مـــاك دن : ها نحن . الوقت متأخر . ستغرب الشمس بعد نصف ساعة . الضباب أتى مبكـــراً . ها هو . مرحباً. (ينهض وهو يرحب بالضباب بلامبالاة). هذا المكان لك . أعيش هنا مع الشتاء .

مـــاك دن : حسناً . يا ماك دن . كل شيء مرتب ؟ المنارة والضوء وسعادتك الخاصة (يثني ذراعيه) مستعد لأي شيء ؟ مستعد ! (يتنفس بعمـــق) آه . إني أحب هذا (يذهب إلى سياج دائري وينظـــــر إلى أسفل)

مـــاك دن : عليّ اللعنة ، كما يقول البحاره الشعراء . إني حقا وحيد هنا . ليست ثمة مدينة الا على بعـــــد مائتي ميل طويلة من هذا الطريق شمالاً . ليست هناك مدينة الا على بعد ثلاثمائة ميل من هـــذا الطريق جنوباً . لا توجد مدينة داخل ضباب نوفمبر هذا الا على بعد ستين ميلاً وحيداً عـــلى الأقل . ليس هناك سوى الساحل غير المأهول . والطرق المقفرة . والأرض الفارغة ، والمياه الخاليـــة ، وأنا وطائر نورس وحيـــد يصـــرخ .

وبالنظر إلى كل هذا ، هل أرفض البحر حبي ؟
لا أستطيع . لماذا ؟

(يشعل غليونه . ينفث وينفخ الدخان)

مـــاك دن : لأن الإنسان حيوان ملول . نحتاج للتغيير . ولكن أين نجده ؟ (ينظر إلى أعلى) في السحب ، كطفل يجتهد لدراسة طبقات الجو العليا وأوضاع الأجرام السماوية الرمزية ، انتشار وتجمع الهواء النقى والمادة البيضاء . أو فى المدافىء ، ليالى الشتاء . لا يتشابه أبدا لهبان . أرابسك(١) ، وباروكى(٢) ، وركوك(٣) . الهواء والنار ! ولكن ! ولكن البحر ، المحيط يتفوق على كليهما ! فهو أكثر أصالة من السحب ، أكثر غرابة من كل أفران الجحيم . يتشكل فى آلاف الأشكال والألوان ، بلا تكرار عبر بلايين السنين منذ أن تدفـــقت التيارات الأولى . هنا سمائي وبيتى ، خمس قامات كاملة ، تمتد كلها إلى الأسفل ، لست حيواناً أعجم كسلان انتابه السأم . هيا سلّينى . هذا هو . (يجمد وهو ينظـــر إلى أعلى ثم ينشغل بالنظر إلى شيء آخر بعيـــد) .

---

(١) Arabesque النسق العربى فى الزخرفة .

(٢) Baroque يتسم باسلوب فى التعبير الفنى يتميز بدقة الزخرفة وغرابتها احيانا وباصطناع الاشكال المنحرفة او الملتوية (ساد فى القرن ١٧) .

(٣) Rococo اسلوب فى التزيين وفق العمارة يتميز بالزخرفة البالغة وقد راج فى النصف الاول من القرن الثامن عشر .

مـــاك دن : هالو ، المزيد من التسلية ! زورق مزود بمحرك ، لماذا . . . هذا يشبه جـــــوني . . كلا . . هل عاد إذن ؟ (يحدّق) ولكن ، هذا هو ، هذا هو ، هاى ، جوني . هاى (يتوقف) لا يمكنه أن يسمعنى . حسناً . لست وحيدا ، هذا أفضل : رفقة . شخص حقيقى أتحدث معه ، حتى لا أنزلق عن السياج . شيء غريب . هل سمع الاشاعات ؟ ان الرجل العجوز مجنون ، فهو يرى أشياء فى الليل . بل أسوأ من هذا . فى وضح النهار . أيمكن أن يكون هو ؟ فلنتوخ الحرص ونكتشف الأمر . جون ! جوني ! هالو ! اربط القارب . اصعد ! لقد حضرت فى الوقت المناسب للانارة الكبرى ! (يستدير ويشغل نفسه بالتفاصيل الأخيرة . يضع بعض الأشياء فى صندوق الأدوات ، ينظف بعض المعدات النحاسية . فجأة ، يستدير وينظر حـــوله وإلى أسفل ، ثم ينصت) .

مـــاك دن : انه يصعد الدرج . فلنرحب به ترحيباً عظيماً ! إيه؟ (يضغط على زر . فتنطلق صيحة هائلة من نفير الضباب ، بينما يدخل جوني إلى مجال الرؤيـــة وهو يربت بيديه فوق أذنيه . مبتسماً ، لاهثاً) .

جـــوني : لا أستطيع التنفس ! هذه الدرجات ! إنـــى رجل عجـــــوز !

مـــاك دن : كلا ، فأنا العجـــوز ، أما أنت فشاب مثل الخيول فى الحقول خلال شهر مايو ! انى سعيد برؤيتك !

(يعانق الشاب الذى يبتسم ثم يضحك)

جـــوني : لقد تمزقت أرباً ! أنجس ! تبدو رائعاً !

(يبتعد ماك دن ويتحسس مواطن قوته)

مـــاك دن : آه ! هذا بفضل صعود وهبوط عشرة آلاف درجة كل يوم ! جوني ، شيء رائع أن تكون هنا !

جـــوني : توقعت أن أفاجئـــــك !

مـــاك دن : هل هذا كل ما فى الأمر . . . . . . مفاجأه ؟

جـــوني : وماذا غيرهـــــا ؟

مـــاك دن : (يتدارك) : لا شيء . هل سافرت بعيداً ؟

جـــوني : كاليفورنيـــــا !

مـــاك دن : ولكن ، كان يجب عليك العودة ، ايه ؟ سمعت أن هناك محيطاً مختلفا ، ليس به نصف متعة هذا المحيط ؟ سمعت أن هناك ضباباً من الدرجة الثانية وأعاصير من الدرجة الرابعة ! كان يجب عليك الرجوع إلى موطنك .

جـــوني : عزيزى أنجس ، لو خيرت بين مشاهدة مسرحية أو فيلم سينمائي جديد ، أو المشهد من هذا البرج . . .

مـــاك دن : لاخترت المشهد من البرج ، لا جدال فى هذا

جـــوني : ولكنك تحتاج لفترة راحة ! أنت هنا سبع ليال فى الأسبوع ، ثلاثمائة خمس وستون ليلة فـــى السنة . لا أظن أنني رأيتك على البر منذ سنوات ! انك تستحق . .

مـــاك دن : أو لعلك تقصد كلمة « تحتاج » ؟

جـــوني : تستحق ، تحتاج . ألا ترغب فى أن تقضى بالمدينة نهاية الأسبوع بأكملهـــــا !؟

مـــاك دن : وأشرب ، وأزحم نفسى بصنوف كثيرة من المتاعب . وهى أحياناً تنطلق أمام مقلتى عينى كأنها ذرات تراب متطرفة ، ولكنها تنقشع إذ أنـــا رمشت ، ومن عساه يجلس نيابة عنى هنا . يعنى بالطفل الكبير فى الليـــل .

جـــوني : أنا .

مـــاك دن : أنت !

جـــوني : لقد ربيتنى هنا لمدة عامين عندما كنت طفلاً ، هل نسيت ؟ أنت اعز شخص لى بعد أبى . انى قلق . . .

مـــاك دن : لماذا ، الا اذا كان شخص ما قد دفع بالأمـــــر فى أذنك اليسرى ثم جذبه من أذنك اليمنى !

جـــوني : أوه يا أنجس ، يجب أن نتحدث . ما الذى حدث منذ رحيلى ؟

مـــاك دن : لم أفعل شيئاً . اسأل البحر عن اجابات . جوني . لا أحتاج لفترة راحة . ولا للمدينة ولا للشراب لا يصح إلا الصحيح . انى أعيش مع الحقيقة ، يا ولدى ، على قاعدة الجرانيت الاساسية للإيمان بالله . لقد جئنا من البحر منذ بليون عام ، فقدنا خياشيمنا ، واكتسبنا العادات وأساليب الحياة ،

وما تزال هناك بعض المخلوقات التى تطفو من وقت لآخر لتخيف البعض ولتمتع البعض الآخر . لقد سمعت بذيل الحقيقة فقط ، وليس بالرأس والجسـم .

جـوني : اسمعنى جيداً يا أنجس . إذا لم أضعك عنـوة فى هذا القارب وأخذك إلى البر ، فلا بد أن لدى مبررات أذكرها للناس هناك على الشاطىء . والا فانهم سيعفونك من العمل . اخبرني بكل شىء .

مـاك دن : أولاً . دعنا نراجع بعض الأشياء الأخيرة . لقد بدأ الليل اللعين ، ولم نتأهب له . هناك .

(يأخذ فى اصلاح بعض الآلات فى الصندوق الكبير الراقد عند أقدامهـم) .

جـوني : اني أنتظـر .

مـاك دن : (يتنهـد) حسناً . .

(ينظر إلى أسفل حيث المحيـط) .

مـاك دن : ذات ليلة ، منذ سنتين ، ليس بعد رحيلك بمدة طويلة ، آه ، لن تصدق هذا .

جـوني : مـاك دن !

مـاك دن : حسناً . . ذات ليلة كنت وحيداً . ولكن ألست كذلك دائماً ؟ ان البقاء وحيداً ليلة واحدة هنـا مثل شبح والد هملت العزيز فى البرج ، شعرت بشىء وربما سمعت شيئاً ما يكتنفه الغموض داخل أذني الوسطى . استيقظت من نوم عميق لأحدق

في مياه الأزمـــــان القديمة .

جــوني : ورأيت . . . ؟

مـــاك دن : كل الأسماك التى فى البحر . كل سمكة منها ، طفت على السطح وراحت تسبح بالبلايين واستلقت هناك . ترتعد وتحملق فى ضوء البرج ، وهو ينطفىء ويضىء . . ينطفىء ويضىء . . ورأيت ومضات خاطفة من بليون عين غامضة . وأخذتنى رعدة . كانت هناك أشبه بذيل طاووس هائل ، تراقبنى حتى منتصف الليل . ثم ، وبدون أدنى صوت ، انصرفت بعيداً فى هدوء ، لقد اختفت البلايين من هذه الاسماك . واننى أتسأل . . هـــل سبحت كل هذه الاميال لتأتي وتتعبد ؟ الضوء والمنارة والبرج الذى يرتفع عالياً فوق الميـــــاه الكئيبة ، فكر كيف يبدو هذا لتلك المخلوقات ، لهذه الأسماك العجماء . النور الالهى يومض . وهذا البرج ينبىء عن نفسه عن طريق نفـــــير الضباب . لم يعد ذلك السمك أبداً . ولكن ألا تظن للحظة أنها ظنت أنها كانت فى حضرة إله !

جــوني : لقد كانت فى حضرة رجل سليط اللسان يتذوق الخمـــــر .

مـــاك دن : اننى ممتلىء والبحـــــر ممتلىء !

جوني : لا استطيع أن أقول هذا هناك على البر ، أنجس ! هيا بنا ، اذا أسرعنا . . .

مـــاك دن : نسرع . يا للجحيم يا ولدى. أتى الليل . امتقلو متأخر جـــــدا .

جـــوني : المسافة ميلين بمقط للشاطىء

مـــاك دن : يقول « فقط » ! الابحار في الليل ، واشتداد التيار في النصف الساعة الأخيرة . كلا يا ولدى ، ستبقى هنا طول الليل ثم تبحر في الفجر . ليساعدك الله . فهناك احتمال أن ترى الليلة ما قد رأيته أنا ولم أخبر به أحداً . ساعدني الآن . فقد أتى الليل والضباب وتشتد الحاجة إلى الضوء . هناك !

(يدير مفتاحاً كهربائيا . يسطع الضوء ويدور خلفهما ، ومن خلال الضباب يتحرك الضوء محدثاً بعض الظلال) .

مـــاك دن : والآن . . . . النفير بذاته .

(يلمس زراً ثانياً . . ويصرخ نفير الضباب)

مـــاك دن : . . . يبدو كحيوان ، أليس كذلك ؟ حيوان ضخم وحيد يربض هنا على حافـــــة عشرة بلايين سنة ، ينادى الاعماق : أنا هنا . . . . أنا هنا . . أنا هنا . .

(يتردد صوت النفير مرة أخرى ، ولكن أقـــل قـــــوة)

جـــوني : أنجـــس . .

مـــاك دن : لا تقل شيئاً ، فلن يكون للكلام معنى . أنت لا تصدق . ولكن أنصت يا جوني ، نفير الضباب

ينادى والأعماق تجيب فعلاً . لماذا ؟ لأنه فى يوم منذ سنوات وقف رجل ينصت لصوت المحيط على شاطىء بارد لا تشرق عليه الشمس ، وقال : نحتاج إلى صوت ينادى عبر المياه وينذر السفن ، وسأضع أنا واحداً كما كان فى طول الزمن وفى جميع حالات الضباب التى حدثت ، سأضع صوتاً كأنه الفراش الخالى بجانبك طول الليل ، وكأنه المنزل الفارغ عندما تفتح الباب . وكالأشجار فى الخريف فى أول ليلة تتساقط فيها الأوراق ، صوت كالطيور تتجـه جنـوباً وهى تصيح ، صوت كرياح نوفمبر والبحر على الشاطىء الجامد البارد ، سأصنع صوتـاً سيكـون فريداً لا يخطئه أحد ، وكل من يسمعه سيبكى فى نفسه . وستبدو البيوت دافئة وسيكون الداخل أفضل للجميع الذين يسمعونه فى مقابر البلاد البعيدة ، سأصنع صوتاً وجهازاً يبكى به وأسميه نفير الضباب ، وكل من يسمعه سيعرف حزن الا بدية وقصر حبـل الحيـاة .

(وقد دوى نفير الضباب ثلاث مرات على الأقل ، في صوت خافت خلال الحديث المتقدم)

جـوني : أصبت ياأنجس . الصوت كما قلت تماما ، وربما تكون قد اخترعته

مـاك دن : لن تفيد شيئا من القلق ، الا مزيداً من المناجاة أنصت .

(وينصتان)

مـــاك دن : هذا الصوت يؤدى بنا على الطريق الطويل الى هذه الليلة ، سيكون عندنا زائر ، وسنرى

جـــوني : هذه البلايين من الاسماك ؟

مـــاك دن : كـــلا .

جـــوني : سمكة واحدة . . . حوت . . ؟

مـــاك دن : ليست سمكة . . وليس حوتا من الثدييات ذات الدماء الحارة . . ولكن . . صه !

آه ، نعم ! هناك !

(ذهب الى حافة البرج ليحدق ثم يشير)

جـــوني : شـــىء ما . . يسبح في اتجاه المنارة

مـــاك دن : نعـــم

جـــوني : شـــىء . . . ضخم ؟

مـــاك دن : « هائل » اقرب الى التعبير الصحيح .

(يشعل ماك دن غليونه ويدخن ، وهو يحدق بثبات)

(يدوى نفير الضباب ثم يخفت صوته)

مـــاك دن : . . . انه وقت المـــد حركة ذاتية مختبأة في الأعماق . وهى الآن تصعد وتصعد ، موجة ، فقاعة ، شيء من الزبد . ثم ، هنا ، هنا ، هاهى يابني .

جـــوني : رأس ؟ رأس أسود ؟ عينان ؟ عين واحدة .

أثنتان ؟ أثنتان ! وعنق ، وعنق آخر وأكثر . .

مــاك دن : (مسرور الى حد كبير) هناك المزيد ! عشرة ، عشرون ، ثلاثون قدم ! وجسم مثل جزيرة من المرجان الأسود ، والقواقع وجراد البحر وكل الأشياء الأخرى الخفية . طوله الكلى . تسعون ، مائة قدم ! الوحش ! شيء جميل ! يثب من الماء يثب من الماء .

(ويصرخ نفير الضباب)

(ويسمع صدى صرخات الوحش من بعيد)

مــاك دن : هل سمعت ؟

جــوني : كــلا

مــاك دن : حقا ! اسمع

(يقترب صوت صراخ الوحش)

جــوني : مســتحيل !

مــاك دن : كلا . اننا المستحيلان ! هذا مجرد شيء خيالى يبدو الأمر كما كان منذ عشرة ملايين سـنة مضت . لم يتغير . اننا والأرض الذين تغيروا ، وأصبحنا مستحيلين ! نحن !

(يدوى نفير الضباب . تقترب صدى صرخات الوحش)

جــوني : الضوء ! عيناه !

مــاك دن : (متحمس بشكل مذهل) يرتد ضوء منارتنا

من جسمه ليكون شفرة رائعة لمورس ! ماالذى تقوله ياجوني ؟

جـــوني : انه . . . دينا صور ؟

مـــاك دن : أحد افراد القبيلة ! اسمع صوته الحبيب !

جـــوني : ولكنها انقرضت

مـــاك دن : كلا. فقط أختبأت في الأعماق. عميق عميق الى أسفل في أعمق الأعماق . آه ، اسمع الصوت: الأعماق . هناك حيث كل البرودة والظلام والعمق في العالم . في كلمات كهذه .

جـــوني : ماذا سنفعل ؟

مـــاك دن : نفعل ؟ لماذا . . . تمتع بالمشهد

جـــوني : انه يدور في حلقات . لماذا ؟ لماذا يأتي الى هنا ؟

مـــاك دن : أليست لك اذنان ؟

(يدوى صوت نفير الضباب)

(يصرخ الوحش)

مـــاك دن : نفير الضباب يدوى ! والوحش يجيب ! هذه صرخة تأتي عبر مليون عام من المياه والضباب . هناك كرب يصيب جوهر الروح برعدة . نفير الضباب ، وصرخة الوحش ، يصعب التفرقه بينهما ، ربما تظن أن ثمة نفير آخر هناك وحيد وضخم وبعيد جداً . صوت عزلة، بحر غير منظور ، ليلة باردة ، انفراد .

(يصرخ الوحش)

جـــوني : منذ متى بدأ يأتي الى هنا ؟

مـــاك دن : منذ سنة بالضبط ، فكر ياجوني ، هذا الوحش المستلقي بعيداً على بعد ألف ميل في البحر ، وماذا ؟ . . على عمق عشرين ميلا ينتظر وقته ، وربما كان عمره مليون سنة ، هذا الوحش الوحيد ، من يستطيع أن يقول ؟ لست أنا ، فكّر فيه ينتظر مليون سنة ، أيمكنك أن تنتظر هذه المدة ؟

ربما كان الأخير من نوعه ، وبعد كل هذا الانتظار يأتي رجال على البر ، ويبنون منارة ويشعلون ضوءا ويطلقون نفيراً ، يدوى صوب المكان الذى تكون مدفونا فيه على عمق شديد حتّى لايبدو لك الصوت أكثر من همس ، صدى في نومك ، ذكريات بحرية لاأكثر ، حركات المد والجزر القائمة الّتي تذكر عالماً ، حيث كنت فيه يوماً صغيراً مع آلاف من أمثالك ، كلها ذات جمال مروّع ولكنك الآن وحيد ، وحيد ولست جزءاً من عالم تغير كثيراً .) ويدوى نفير الضباب في صوت خافت ، ويصرخ الوحش في صوت خافت أيضاً

مـــاك دن : . . ولكن صوت نفير الضباب يأتي ويروح وأنت تتحرك من قاع الأعماق الموحل . . تتحرك في بطء . . في بطء شديد . . وتفتح عيناك

كأنهمـــا عدستـــا كامـــيرات ذات خمس أقدام . . ويتقـــد الأتـــون الـــذى في بطنـــك وتبـــدأ في الارتفـــاع ببـــطء . . ببـــطء شديد وتطعم نفسك بكميات كبيرة من سمك القد وسمك المنوه في أنهار من السمك الهلامى ، وتسلّك أسنانك بحيتان وتصعد ببطء خلال أشهر الخريف . ويجب أن تصعد ببطء والا فانك اذا صعدت الى سطح المياه دفعة واحد لانفجرت بسبب التغيير في الضغط ، ومن ثم تستغرق شهوراً أو سنين في الصعود الى السطح ، وتصل أخيراً وأنت أكبر الوحوش العظيمة في الخليقة ، وها هى المنارة تناديك برقبـــة طويلة كرقبتك تخرج من المياه الى أعلى ، وبجسم كجسمك وبصوت كصوتك . .

(ويدوى نفير الضباب بصوت خافت ، ويردد الوحش الصوت)

جـــوني : يالهذا الوحش الضائع ، هل انتظر كل هذه المدة ؟ مليون سنة ليأتي شخص ما ، ولكنه لم يعد أبدا ؟

مـــاك دن : مليون سنة . جنون الزمن ، بينما تطهرت من الزواحف الطائرة وجفت المستنقعات في أراضى القارات وكان لحيوان الكسلان وحيوان مسيّف الاسنان أيامهما ثم انقرضا ، وكان البشر يجرون كالنمل الأبيض على التلال أسفل أورشليم

وفي السنة الماضية أخذ هذه المخلوق يسبح في دوائر طول الليل ، لا يقترب كثيراً وقداخذته الحيرة ، وربما كان خائفا ايضاً ، غاضبا بعض الشيء بعد أن سبح كل هذه المسافة ، ولكن في اليوم التالى انقشع الضباب واشرقت الشمس. وسبح الوحش مبتعدا في الجو الحار والسكون. ولم يعد ، وأحسب أنه كان يفكر منذ سنة ، يفكر في الأمر وفي كل طريقة قد يسلكها . وربما كان لايصعد الامرة واحدة في السنة ، وذات ليلة ، لقد كتبت التاريخ على كل حال. وهاهو .

جـــوني : ويقترب أكـــثر !

ماك دن : اللعنة اذا لم يكن الأمـــر كذلك

(يدوى نفير الضباب ، ويصرخ الوحش)

جـــوني : انه يرتفع ، انه يرتفع . ياه ! أصبح رأسه في مستوانا

ماك دن : تراجع يا بنى .

جـــوني : انه سيرتطم بنا ! الضوء يا أنجس ! النفير . لوأمكننا اغلاقهما لانصرف .

(يندفع جونى مذعوراً . يصرخ الوحش بصوت مـــدوٍ . صوت نفير الضباب يتوقف فجأة . وتطفأ الأنوار)

ماك دن : جونى ، كلا ! كلا !

(يحتدم الغضب في الوحش)

ماك دن : كلا. هذا أسوأ ما في الأمر ! فهو يظن أننا قد هلكنا ! أشعل الضوء . آه ، بسرعة . أشعل الضوء

(يشتعل الضوء . ويدوى نفير الضباب)

جوني : انه يسقط على البرج ، ويمسك به بقوة . سيتحطم ! سنسقط !

ماك دن : أهبط الدرج ! الى أسفل الآن ! أسرع !

جوني : انه يصعد ثانية ، الى أعلى ، الى أعلى . كلا ، كلا ! انه طويل جداً ! انجس !

ماك دن : اهبط ! اهبط ، ايها الغبي !

(يجذبه ماك دن . ويهبطان خلال بئر السلم)

(يومض على البرج ضوء أخضر مروّع . ثم . . ظل وظلام . تهشم زجاج . تكسر الخشب والمعدن والحجارة . كل شيء يتحول الى دمار)

(يسود الصمت لفترة ، ثم يزداد الضوء الأخضر الى الحد الذى يمكّن من رؤية الرجلين يتمددان باسطين أذرعهم وأقدامهم . مشدودى العيون ، ينتظران . وفوقهما وحولهما صوتا تنفس وأنين هائلان)

جوني : أنجس !

ماك دن : على قيد الحياة . أحمد الله على وجود هذا القبو ؛ أنصت . صه . انه هو ، مثنى بعضه على بعض فوقنا ، على بعد أقل من طبقة حجر .

جوني : الرائحة . انها مروّعة . سأموت .

ماك دن : ستعيش ، ولكن هل سيعيش هو ؟ أنصت . النواح والحيرة . لقد زال البرج في نظره وكذلك الضوء . اختفى الشيء الذى كان يناديه منذ مليون سـنة ، ولم يبق سـواه ينادى الآن كنفير الضباب يعـود للحياة ثانية ، يرسل أصوات الندب والعويل المرة بعد المرة ، والسفن التي تمخر الآن عباب البحـر في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، هل تسـمعه يصرخ وتفكر محدثة نفسها : ها هو ، الصوت المنفرد ، نفير الخليج الوحيد . كل شيء على ما يرام ، لقد درنا حول الرأس(٤) . هل جـاوزنا الصخور القريبة من سطح المـاء ؟

(ويبطل اللهاث ويتلاشى الصوت . تنشط حركة مـد وجزر هائلة . ونسمع صوت الأمواج).

جـوني : هـل ذهب ؟

ماك دن : أجـل

(يجلس كلاهما . ويبدأ الضوء في أن يصفو)

ماك دن : آه ، ألم يكن هذا رائعا ؟

جـوني : رائعـا ؟

ماك دن : وألم يكن حـزينا ؟

(يبدآن في النهوض على أقدامهما ، ولكنهما يتوقفان ذلك أنهما يسمعان صيحة على بعد كبير)

---

(٤) الراس Cape معناها الأرض الداخلة في البحر (قاموس المورد) .

جـــوني : انه يعـــود !

ماك دن : كلا . انه يذهب بعيدا الى الأعماق . ما الــذي اكتشفه ؟ هل يجدى أن يحب الانسان أى شيء حباً جماً في هذا العالم القفر الغريب ؟ أم أنه من الأفضل أن يحب على كل حال ، حتى لو اتضح أنه ليس أكثر من منارة وضوء ونفير ضباب في الضباب ، ورجلين من البشر ، الذين يشبهونـــل التلال ، مسئولين عن هذا كله .

جـــوني : اتظن أنه كان يعلم من نحن ؟

ماك دن بالقدر الذى نعرفه عنه . ليس كثيرا . آه يا جوني. انزل الى البر غداً وتزوج زيجة طيبة وعش في منزل دافيء بنوافذ متألقة وأبواب مغلقة بعيداً عن البحر وتعال لزيارتى كل سنة ، ولكن أترك المحيط لى

جـــوني : لن يعود أبداً . أشعر بهذا . اقد ذهب بعيداً .. ذ مليون سنة أخرى .

ماك دن : ياله من مسكين . ينتظر هناك بعيداً ينتظر . . أجل. بينما الانسان يروح ويغدو في هذا العالم الصغير الذى يرثى له . ينتظر . . حتى . . أعيد بنـــاء هذا البرج ؟ وآنذاك ، ربما . . يا جونى . . اذا عـــاد يوماً ؟ اذا جاء الوحش للزيارة ، يرفع رأســـه من جديد وبصوته المروّع الحزين يسأل الأسئلة القديمة؟

(نسمع صيحة منفردة تنبعث من مكان بعيد).

ماك دن : .. أى إجابات يمكن أن تردّ بها على هذه الأسئلة ؟
ما الذى يمكنك . . أن تقول ؟

(نظر كل منهما للآخر في صمت طويل ، ثم نظرا الى البحر بثبات)

(يخفت الضوء . . وينخفض صوت وحش البحر)
(ويهبـــط الســـتار)

« النهـــــــاية »

* * *